المحاضرة4: العلوم النقلية (علوم القرأن والحديث النبوي)

أولا:/ مفهوم العلوم النقلية:

تطرق ابن خلدون في مقدمته إلى قضية تصنيف العلوم وأشار إلى أنها صنفين:

الصنف الأول هو الصنف العقلي: وفي نظره هو الذي يقف عليه الإنسان بطبيعة فكره ويهتدي إليه بمداركه البشرية الفطرية كالسمع والبصر مصداقا لقوله تعالى: **(وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)**النحل، الآية78.

والصنف الثاني هو الصنف النقلي: الذي يؤخذ عن الواضع الإلهي الشرعي وهو الصنف الذي لا يحتاج إليه العقل ولا مجال فيه إلاذ إلحاق الفروع بالأصول وأصل هذه العلوم النقلية هي العلوم الشرعية

وقد تعرض ابن خلدون في مقدمته إلى أصناف هذه العلوم سواء من حيث تعريفها أو موضوعاتها ومناهجها وغاياتها وأهدافها وطرق تحصيلها حيث يقول:" وأصناف هذه العلوم النقلية كثيرة لأن المكلف يجب أن يعرف أحكام الله تعالى المفروضة عليه وعلى أبناء جنسه وهي مأخوذة من الكتاب والسنّة بالنص أو بالإجماع أو بالإلحاق فلابد من النظر في الكتاب ببيان ألفاظه أولا وهذا علم التفسير، ثمّ بإسناد نقل روايته إلى النبي صلى الله عليه وسلم الذي جاء به من الله واختلاف روايات القراء في قراءته وهذا هو علم القراءات؛ ثم بإسناد السنّة إلى أصحابها والكلام في الرواة الناقلين لها ومعرفة أحوالهم وعدالتهم ليقع الوثوق باخبارهم ويعمل ما يجب العمل بمقتضاه وهذه علوم الحديث، ثمّ لابد من استنباط هذه الأحكام من أصولها من وجه قانون يفيدنا العلم بكيفية الاستنباط وهذا هو أصول الفقه؛ وبعد هذا تحصل الثمرة بمعرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين وهذا هو الفقه؛ ثمّ إنّ التكاليف منها بدني ومنها قلبي وهو المختص بالإيمان، وما يجب أن يعتقد مما لا يعتقد وهذه هي العقائد الإيمانية في الذات والصفات وأمور الحشر والنعيم والعذاب والقدر والحجاج عن هذه بالأدلة العقلية وهو علم الكلام؛ ثم النظر في القرآن والحديث لابد أن تتقدمه العلوم اللسانية لأنه متوقف عليها وهي أصناف فمنها علم اللّغة والنحو وعلم البيان والأدب وهذه العلوم النقلية كلها مختصة بالملة الإسلامية".

ثانيا/ **أنواع العلوم النقلية:**

1/– علوم القرآن

القرآن الكريم هو كتاب الله عز وجل والذي ختم به الكتب السماوية وأنزله على أشرف الرسل وخاتمهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿**قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ**﴾المائدة، الآية15؛ وقد أمر تعالى بتلاوته وتدبره في قوله: ﴿ **الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ**﴾، البقرة الأية 121؛ كما حث النبي على قراءة القرآن وتدبره واعتنى الصحابة ومن جاء بعهدهم به وبما كان يتصل به من علوم وهي : علم القراءات والتفسير.

أ/ علم القراءات:

–تعريفه:

هو علم يختص في البحث في وجوه الاختلاف بين القراءات المتواترة لألفاظ القرآن الكريم وحروفه وفائدته صونا لكلام الله سبحانه وتعالى من التحريف والتغيير.

وهو علم بكيفيات أداء كلمات القرآن الكريم من تخفيف وتشديد واختلاف ألفاظ الوحي في الحروف.

وموضوع هذا العلم هو كلمات القرآن من حيث أحوال النطق بها وكيفية أدائها واستمداده من النقول الصحيحة المتواترة عن علماء القراءات الموصولة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

لقد بدأ التدوين في علم القراءات كغيره من العلوم منذ وقت مبكر وتطور في القرن3هـ/9م في عصر التدوين والانفتاح العلمي ولا تزال محل اهتمام العلماء إلى اليوم لضمان حفظ القرآن وصونه من التحريف؛ حيث أقبل العلماء على حفظ القرآن والاهتمام بالقراءات شرحا وتأليفا ونظما، واشتهر العديد من علماء الغرب الإسلامي ممن برعوا في ذلك .

-إنتاج علماء الغرب الإسلامي في علم القراءات:

اهتم علماء الغرب الإسلامي بالتأليف في علم القراءات ومن أشهرهم :

-**عبد الرحمان بن محمد الثعالبي**،ت875هـ: **شرح المختار من الجوامع في محاذاة الدرر اللوامع في أصل مقرأ نافع لابن بري**(مؤلف الكتاب نشأ بناحية وادي يسر بالجنوب الشرقي بالجزائر أخذ العلم عن جماعة ثم اشتغل بالتدريس والتأليف وبرع في العديد من العلوم الدينية وترك مايزيد عن تسعين مؤلفا في الفقه والتفسير والحديث والتاريخ.

-أبو عبد الله محمد بن عبد الله التنسي،ت899هـ: **الطراز في شرح ضبط الخراز**(مؤلف الكتاب ولد سنة 820هـ تتلمذ على جملة من الشيوخ كابن مرزوق الحفيد وقاسم العقباني، كما تكون على يده كوكبة من الأعلام وله مؤلفات عدة منها: **تعليق على مختصر ابن الحاجب في الفقه- نظم الدر والعقيان في التعريف بسلف بني زيان**''؛ وبالنسبة لكتاب الطراز فموضوعه هو شرح كتاب ظبط الخراز لمؤلفه محمد ابن محمد الشريشي الشهير بالخراز الأندلسي والذي كان إماما في مقرأ نافع وقد قسم التنسي كتابه إلى مقدمة وثمانية أبواب تطرق فيها إل القول في أحكام وضع الحركة وباب السكون والتشديد وباب ضبط الصلة والابتداء وغيرها.

ب/ علم التفسير:

هو أحد جوانب علم القرآن "**وهو علم يُفهم به كتاب الله ببيان معانيه واستخراج أحكامه**"وقد لقي عناية واهتماما من طرف علماء الغرب الإسلامي بوصفه مرتبطا بكتاب الله لتدبر معانيه ومقاصده وقد دخل علم التفسير إلى بلاد المغرب من إفريقية مع جماعة من التابعين ممن سكنوا القيروان؛ حيث كان طلبة العلم يتلقون عنهم علوم القرآن وكل ما يتعلق بآيات الأحكام؛ إذ اشتهر هؤلاء التابعين بالتفسير ولقنوه لسكان المغرب مما دعم نشوء مدرسة التفسير في بلاد المغرب التي أسسها عكرمة في نهاية القرن الأول وفجر الثاني وهو من أبرز تلاميذ ابن عباس؛ حيث اتخذ بجامع القيروان حلقة للتدريس.

ومن أشهر المفسرين ببلاد المغرب نجد:

-هود بن محكم الهواري الأوراسي،ت280هـ: من قبيلة هوارة، ألف كتابا في التفسير في أربعة أجزاء سماه''**تفسير كتاب الله العزيز**" وهو يُعتبر أقدم تفسير في المغرب الأوسط خاصة والمغرب الإسلامي عامة.

-الإمام عبد الرحمان بن محمد الثعالبي،ت875هـ في كتابه:"**الجواهر الحسان في تفسير القرآن**"، ويعتبر من أهم التفاسير التي ألفت في القرن9هـ/15م، والكتاب مقسم في خمسة أجزاء منها: جزء في تفسير سورة الفاتحة والبقرة وآخر في تفسير من سورة الأعراف إلى سورة الكهف وآخر من تفسير سورة يس إلى سورة النّاس.

-محمد بن قاسم أبو عبد الله الأنصاري التلمساني المعروف بالرصاع،**ت**894هـ؛ صاحبه نشأ نشاة علمية وأخذ العلم عن كبار المشايخ، وتولى منصب قضاء الأنكحة.

2/ علم الحديـــــــــث:

1/ علم الحديث نشأته، تطوره، ودخوله لبلاد الغرب الإسلامي:

علم الحديث هو ما أضيف عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو وصف خلقي أو خُلقي أو تقرير أو أضيف إلى الصحابي أو التابعي؛ وعُرّف أيضا بأنه:''**العلم الذي يُعرف به أحوال الراوي والمروي من حيث القبول أو الرد**".

ومن الأصول المنهجية لعلم الحديث والمستمدة من القرآن الكريم نجد: رفض الخبر الكاذب من خلال تتبع سلسلة الرواة، فضلا على اشتراط العدالة لقبول خبر الراوي وهو أصل مقرر في الشريعة الإسلامية، مع ضرورة التثبت في كل قضية وخبر وهو ما يُعرف ''**بعلم الرواية**'' فلا تقبل الرواية إلاّ بعد التثبت من صحتها ومطابقتها للأصل الذي صدرت منه.

وقد تطور علم الحديث عند المسلمين على فترات، وكان رجال الحديث يجتهدون في طلبه فيقطعون المسافات الطويلة بغية تحصيله. وهناك ترابط بين منهج علم التاريخ وعلم الحديث من خلال الأخذ بشروط مقاربة لشروط علم الحديث بأن يكون المؤرخ صادقا وأن يسند الخبر لصاحبه، وأن يلتزم بالموضوعية ولا يغلبه الميل والهوى لذلك نجد أغلب المؤرخين الأوائل كانوا محدثين كالطبري والذهبي وابن كثير.

وقد دخل علم الحديث بلاد المغرب مع بداية الفتح الإسلامي له وبدأت أولى بوادر الاهتمام بعلم الحديث مع بناء مدينة القيروان سنة50هـ على يد عقبة بن نافع الفهري حيث اصطحب هذا الأخير معه 18 صحابيا اهتموا بتعليم الحديث وعلوم القرآن؛ وذكرت بعض كتب التاريخ أنّ أول من أدخل علم الحديث كعلم مستقل بذاته إلى بلاد المغرب هو التابعي"صعصعة بن سلاّم الدمشقي" سنة 92هـ حيث حدث على فقه الأوزاعي قبل أن ينتشر مذهب مالك.

أماّ بالأندلس فقد ذُكر أن من أوائل من حدثوا بها هو معاوية بن صالح الحضرمي(ت158هـ) هذا الأخير كان قد دخلها سنة 123هـ واشتغل برواية الحديث؛ ومع بداية القرن الثاني الهجري دخل موطا مالك إلى المغرب عن طريق أبي الحسن علي بن زياد التونسي ثم دخل إلى الأندلس عن طريق زياد بن عبد الرحمان المعروف بشبطون ومنذ ذلك الحين أصبح أغلب الحديث ببلاد المغرب على مذهب مالك، وبرز عدد من المحدثين.

2/ أشهر علماء الحديث بالغرب الإسلامي وإنتاجهم المعرفي:

لقد برز عدد كبير من المحدثين بالغرب الإسلامي خاصة مابين القرنين 3-9هـ/9-15م نذكر منهم:

– قاسم بن أصبغ البياني،ت340هـ: كان من أئمة الحديث وله عدة تآليف في هذا الميدان منها: "**الناسخ والمنسوخ**"، **والمنتقى في الآثار، وغرائب حديث مالك بن أنس** .

–محمد بن حارث الخشني(ابو عبد الله القيرواني)،ت361هـ: وكانت له عديد المصنفات في الحديث منها الاتفاق والاختلاف لمذهب مالك بن أنس واصحابه، وكتاب رأي مالك، وكتاب أخبار الفقهاء والمحدثين.

– **يحي بن عبد الرحمان بن صالح بن عقيل العجيستي** : عالم محدث ،ت862هـ نبغ في العديد من العلوم الدينية كعلم الحديث، وتصدر للتدريس ببجاية وغيرها من حواضرالمغرب الإسلامي من مؤلفاته:'' **شرح على صحيح البخاري**''، وتوفي قبل أن يكمله؛ ومن الأسماء التي ذاع صيتها في علم الحديث نجد أيضا:

–ابن مرزوق الحفيد التلمساني،ت842هـ:في كتابه:" **المتجر الربيح والمسعى الرجيح والمرحب الفسيح في شرح الجامع الصحيح للبخاري**"؛ ومؤلف هذا الكتاب هو من علماء الغرب الإسلامي الشهيرين تتلمذ على يد جماعة من المشايخ كابن قنفذ القسنطيني وسعيد بن محمد العقباني، كما أخذ العلم عنه جلة من الاعلام ؛ وبالنسبة لكتابه فيعد شرح ابن مرزوق على صحيح البخاري واحدا من الشروح التي تحوي فوائد جمة في علم الحديث والفقه واللغة والتراجم، وما يجدر ذكره هو أن ابن مرزوق الحفيد روى

صحيح البخاري كاملا وشرحه في الدروس التي كان يلقيها على الطلبة في المسجد، واتبع في تأليفه المنهج المبني على توثيق النصوص وعزو كل قول لصاحبه.

– محمد بن يوسف التلمساني،ت895هـ: **مشكل أحاديث كتاب التوحيد من صحيح البخاري**.

هو من مشايخ القرن 9هـ/15م من أعلام تلمسان، أخذ العلم عن جماعة منهم والده ومحمد بن توزت ونصر الزواوي.

من آثاره مؤلفات كثيرة وصل عددها إلى أربعين مصنفا أو يزيد من أهمها: **البراهين وتُعرف بالصغرى** وله عليها شرح– تفسير الفاتحة– حقائق العقائد– صغرى الصغرى التي اختصر فيها أم البراهين عقيدة أهل التوحيد وهي المعروفة بالكبرى.

وبالنسبة لكتاب" مشكل أحاديث كتاب التوحيد، هو كتاب في أصول الدين مادته الأحاديث النبوية التي اوردها البخاري في كتاب التوحيد من صحيحه وبالضبط الأحاديث المشكلة وقد تناولها بمنهج التأويل وهو المحبذ عند القوم.